جماليات اللغة الشعرية في ديوان اللؤلؤة لعثمان لوصيف

The aesthetics of poetic language in the poetry collection The Pearl by Othman Loussif

حبيب بوهراوة [1] *

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، (الجزائر)، hebibbouhraoua@gmail.com

مخبر اللغة الوظيفية

محمد بلعباسي [2]

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، (الجزائر)، belabassi1973@hotmail.fr

كمال الدين عطاء الله [2]

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، (الجزائر)، fares.amir2017@gmail.com

تاريخ الارسال2024/03/02 تاريخ القبول 2024/04/21 تاريخ النشر2024/06/01

ملخص:

نهدف من خلال هذه الدراسة إلى ابراز خصائص ومميزات اللغة الشعرية وجماليتها عمومًا وديوان اللؤلؤة لعثمان لوصيف هو النموذج الذي انتقيناه من أجل اسقاط تلك الخصائص عليه، فلقد تميز هذا الديوان بقوة المعاني وثراء الدلالات لأن الشاعر وظف العديد من الأدوات اللغوية والرموز بمختلف أنواعها بغية ترجمت تجاربه الشعرية والتأثير على المتلقي.

الكلمات المفتاحية: جمالية، اللغة، الشعرية، اللغة الشعرية، ديوان اللؤلؤة، عثمان لوصيف.

Abstract:

Through this study, we aim to highlight the characteristics and features of the poetic language and its beauty in general, and the poetry collection by Othman Loussif is the model that we chose in order to project those characteristics onto it. This collection was distinguished by the strength of meanings and the richness of connotations because the poet employed many linguistic tools and symbols of various kinds in order to translate his poetic experiences. And the impact on the recipient.

Keywords: aesthetic, language, poetic, poetic language, poetry collection, Othman Loussif.

1.مقدمة:

الجمال سمة موجودة في الكون لا يمكن حصرها في مجال معين، فالجمال يشمل جمال النفس وجمال اللغة وجمال الطبيعة وكل ما يخص الإنسان من لغة وأدب وفنون والإنسان بطبعه يميل إلى كل ماهو جميل وله طرب في النفس، لذلك خلق من لغته اليومية لغة ذات تميز وجمال فنظم بها فنًا شعريًا تميز بلغته الشعرية، التي تعتبر المادة الأساسية في عملية الإبداع الفني واللغوي، واللغة موجودة في عمق كل إنسان فهي تعبر عن كيان الشاعر من مشاعر وأحاسيس، نتيجة للأحداث التي مر بها، ولغة الشعر تختلف عن اللغة اليومية، ولكلّ شاعر لغته الخاصة به التي تختلف عن لغة باقي الشعراء فاللّغة الشعرية هي تمثيلٌ للحالة النفسية والشعورية للشاعر من خلال تلك الانزياحات والأدوات اللغوية والصور البلاغية من كناية وتشبيه واستعارة بالإضافة إلى استخدام الرموز التي تحمل في طياتها العديد من الدلالات التاريخية والدينية...، وهي تتميز بعدة خصائص ومميزات فنية وجمالية، وهذه الخصائص هي التي ترتقي بالشعر من خلال ارتقائها بذاتها مما يخلق قيمة جمالية ترتقي بالنص وصاحبه وتترك في نفسية المتلقي أثر إيجابيًا يجعله ينفعل ويتفاعل مع النص المكتوب. كما أنّ الشاعر يستغل كافة قدراته اللّغوية من خلال التلاعب بالتراكيب المعجمية مما يضفي على شعره خصوصية شعرية تجعله يختلف عن غيره من النصوص الشعرية لشعراء آخرين.

ومن هنا تتجلى جماليات اللغة الشعرية من خلال انزياحاتها الدلالية والتركيبية وتوظيف للصور الشعرية المبدعة والقادرة على إثارة اهتمام المتلقي وإعجابه. وانطلاقًا من هنا تمّ اختيارنا لموضوع "**جماليات اللغة الشعرية في ديوان اللؤلؤة لعثمان لوصيف**".

2.مفهوم علم الجمال

يعدّ علم الجمال أو الجماليات علمًا نشأ من رحب النفس الإنسانية التي تميل إلى كل ما يبعث في النفس الراحة والإحساس بالمتعة، كما أنه علم حديث النشأة انبثق عن الفلسفة كفرع من فروعها في النصف الأخير من القرن الثامن عشر حسب الفيلسوف الغربي باو جارتن Baumgarten التي اصطلح عليها بتسميت الأستيطيقا Aesthetics، وقد حدّد موضوعها انطلاقًا من دراساته التي تتمحور حول المنطق والشعور والخيال الفني، والمتباينة عن منطق عن منطق العلم والتفكير العقلي... [1]، وذلك من خلال كتاب خاص سنة 1750م، ثم أكمل المسيرة بعده العديد من العلماء أمثال شيلر، انجلز، هيغل، ماركس بينيبيتو، كروتشه... [2].

3.مفهوم اللغة الشعرية:

اللغة الشعرية هي مصطلح مركب من لفظين هما اللغة والشعرية، والمزاوجة بين هذين اللفظين خلق لنا مصطلح نقديًا هو اللغة الشعرية التي تنطوي على بناء التركيب من المستوى الصوتي والتركيبي، بالإضافة على مختلف التقنيات الفنية المتعددة من صور بلاغية شعرية وموسيقى وايقاع، وهذا ما يجعل لغة الشاعر لغة تختلف عن لغة العوام فهي لغة حياة وابداع تظهر في الشعر من خلال التنوع الحاصل في العبارة والاسلوب وبذلك تثير في نفس المتلقي الاحساس بلغة المشاركة في الأعمال الشعرية[3].

4.عناصر اللغة الشعرية

وتتجسد اللغة الشعرية في ديوان اللؤلؤة لعثمان لوصيف من خلال العديد من العناصر اللغوية كشعرية اللغة التي تتحقق في النصوص الشعرية والتي تبرز من بشكل جلي في سهولة الألفاظ وانتقائها وقربها من لغة المجتمع، بالإضافة إلى توظيف مختلف الحقول الدلالية والاستخدام الجيد للبنى النحوية والتركيبية وغير ذلك، بالإضافة إلى تحقيق نوعًا من الايقاع الموسيقي بنوعيه الداخلي والخارجي، وبعبارة أخرى يمكننا القول أن اللغة الشعرية تتجسد بشكل أمثل من خلال الاستثمار الأمثل للغة، فالعمل الأدبي إذا كان يتوقف على الدقّة في الصياغة، فإنّ الشعر أساس قيامه هو استثماره لخصائص اللغة لأنها المادة الأساسية في بنائه[4].

ومن عناصر اللغة الشعرية التي تجسدت في ديوان اللؤلؤة لعثمان لوصيف مايلي:

1.4.الحقول الدلالية:

الحقل الدلالي في ذهن العلماء هو مجموعة من الكلمات تتقارب فيما بينها في المعاني وتجتمع تحت صنف عام مشترك[5]، أي أن الحقول الدلالية هي تصنيف لما هو موجود في شكل مجموعات تجمعهم علاقات ومعاني فيما بينهم ومن بين الحقول التي عمدها الشاعر "عثمان لوصيف" في ديوان (**اللؤلؤة**):

1.1.4.الحقل الديني:

الذي يظهر لنا مرجعيته الدينية والتي تعود إلى نظام تمدرسه من كتاب ومدارس قرآنية، وتوظيفه لهذا الحقل جاء تأكيدًا على عروبته وثوابته وأصوله الاسلامية. ومن بين ألفاظ هذا الحقل (الله، الإيمان، الملائكة، الشهادة، الدين، المسجد، الاستغفار، التسابيح، المنية، العبادة، الجنة، الفردوس، نتطهر،القدر، جهنم، نصلي، آياته، نتوضأ....)، والأبيات التالية نموذجًا كافي على هذا الحقل:

"سافرت في عينين سوداويين

في مملكة الإيمان والشهادة

وهبت روحي للجمال

مت باسم هذا الدين

بسم العشق والعباده"[6]

2.1.4.حقل الظواهر الطبيعية

توظيف الشاعر للظواهر الطبيعية دليل على تعلقه بالطبيعة وما فيها من مختلف الظواهر التي لها أثر على نفسية الشاعر والمتلقي، وتأثر الشاعر بها ولد لنا فنًا راقيًا، ومن بين الألفاظ المشكلة لحقل الظواهر الطبيعة نجد (الماء، الأرض، الدم، الحرارة، الغصون، الحجارة، النهر، الكون، الكوكب، الثلج، البرق، السماء، الموج، النبض، الهضاب، المحيطات، البحر، الشمس، الروضة، الليل...)، وقصيدة **"غنيت"** تحمل في طياتها العديد من ألفاظ هذا الحقل من بين ما جاء فيها المقطع التالي:

"والتفت الأشياء

حولي

وراح الماء

يحملني إلى عروقي الأرض

فكنت فيها النبض

وكونت فيها الدم والحراره"[7]

3.1.4.حقل الحزن:

الحياة المأساوية التي عاشها الشاعر ترجمها في كتاباته الشعرية مما جعل كتاباته يخيم عليها نوعًا من الحزن والشعور بالألم، ومن بين الألفاظ التي شكلت هذا الحقل (البكاء، الاحتراق، السواد، الموت، الفجيعة، الرعب، الصراخ، التمزق، الغرق، السم،...)، وقد استعان الشاعر هذه الألفاظ من أجل التعبير عن تجاربه الشعرية الحزينة والتي تعكس لنا الحالة النفسية المضطربة التي كان يعيشها، والقصيدة التي نظمها حين فراقه مع تلامذته تظهر لنا مدى حزنه وتعلقه بهم وبالتالي وظف العديد من ألفاظ هذا الحقل، إذ نجده يقول:

"يتوهج الشمع

والنار ضاربت في الحنايا

نتحرّق

نبكي ونبكي ونبكي

فتنهمر الأبجدية

كالبراعم

ينمو الرجاء

والقناديل والنفحة النبوية"[8]

2.4.البنية النحوية التركيبية:

اللغة الشعرية لا تتجسد من خلال جانب معين فقط بل هي جسد متكامل يشكل كتلة واحدة لا يمكن تفكيكها والبنية النحوية التركيبية من بين العناصر المكونة لها وهي تتمثل في الأفعال والجمل ومختلف الأساليب الإنشائية وأدوات الربط. ولقد اخترنا ديوان اللؤلؤة من أجل اسقاط هذه البنى على هذا الديوان وفق مايلي:

1.2.4.الأفعال:

يعرّف الفعل في اصطلاح العلماء النحاة هو دلالته على معنى في نفسه مع اقترانه بأزمنة ثلاثة وهي الماضي والمضارع والأمر[9]، ولقد انتقينا نموذجين من هذا الديوان فاستخرجنا منهما مختلف الأفعال بأزمنتها المختلفة وهما كالتالي:

1.قصيدة "سطيف":

- **الأفعال الماضية** هي: دخلتُ، مشيتُ، توقفتُ، رأيتك، ركضتُ حاصرني، انكسرتُ حضنتُ، متتُ، غطاني، مرّت، هممتُ، بكيت، ناديتُ، أيقنتُ وجدتكَ، غنّت، انهمر، ارتمينا.

الأفعال المضارعة هي: نتألّق، يمرّ، تهاجر، أشمكَ، أراك، أعود

حيث لاحظنا في هذه القصيدة توظيف الشاعر للأفعال الماضي بنسبة كبيرة مقاربة بالأفعال المضارعة في حين انعدام أفعال الأمر.

والمقطع التالي يوضح ذلك:

"**دخلت سطيف على سعفة من نخيل الجنوب**

ففاجأني الظلّ قبل الأوان،

مشيت على اللوز...

كانت شوارعها تتألق والواجهات تشفّ"[10]

فالشاعر هنا في مقام السرد لذلك وظف الأفعال الماضية بكثرة فهو يحكي للمتلقي عن زيارته لمدينة سطيف ويصف جمالها ورونقها وهذا ما اعطى للأفعال الماضية صفة الثبات لأنها حدثت في زمن مضى لا يمكن أن يعود

2. قصيدة "حورية الرّمل:

- **الأفعال الماضية** هي: فرشتُ، جعلتُ، صليتُ، قدّمتُ، مرّغتُ، ....
- **الأفعال المضارعة** هي: تغني، تعيدُ، تنشّقت، تعرّضت، تمتدّ، يسبقُ، ....
- **أفعال الأمر**: دعني، تطهّر...

فالملاحظ في هذه القصيدة أن الشاعر قد وظف فيها الأفعال بأزمنتها الثلاثة الماضية والمضارعة والأمر.

2.2.4.الجمل:

استخدم الشاعر في بنائه "لديوان اللؤلؤة" التراكيب النحوية بقسميها الاسمية والفعلية ففي موضعًا نجده يستخدم الجمل الاسمية فقط وفي موضع آخر يمزج بين التركيبين ومثال ذلك في قوله:

"**ورقلة...**

زهرة في الرمال

ورقلة...

قبلة في الخيال

وأنا سائح قذفته الفيافي...

جبهتي عنبرٌ وغبار

ويديّ... حجله"[11]

في المقطع السابق نلاحظ الشاعر قد وظف التراكيب الاسمية بكثرة على حساب التراكيب الفعلية لأن الشاعر في مقام وصف مدينة ورقلة لذلك استخدم هذا النوع من التراكيب.

أما التراكيب الفعلية فتظهر في قوله:

"نتوضأ بالدمع

نغمس كلّ الخطايا

في الدّموع

نتطهّر

تغسلنا الفطرة الأم

يغسلنا الدمّ

يوحي إلينا

نصلي ونبكي"[12]

فالشاعر هنا جعل الجمل الفعلية تسيطر على بناء هذا المقطع فكل أسطره جاءت جمل فعلية.

3.2.4.الأساليب الإنشائية:

الأسلوب هو العنصر المميز للفنان والمبدع عمومًا لأنه يظهر شخصيته ونمط تفكيره من خلال اعتماده على جملة من الأدوات اللغوية (أدوات التعبير، الأفعال، الجمل، ...إلخ)، وقد وظف الشاعر الأساليب الإنشائية، كالاستفهام والنداء... في مختلف المواضع في قصائده، والاستفهام هو أحد الأساليب الانشائية التي تتطلب معرفة الأشياء والوقوف عليها وعلى مختلف خباياها، كما أنه يخرج إلى عدة أغراض بلاغية تفهم من خلال السياق الوارد فيه ومن أمثلته في ديوان اللؤلؤة قول الشاعر

"أين مني رذاذك البكر يهمي

بين عينيّ

حين يأتي الشتاء !"[13]

فالاستفهام الوارد هنا في هذه الأسطر بنيا على ركيزة أساسية وهي أداة الاستفهام "أين"، وقد خرج إلى غرض بلاغي أي تمثل في الألم والحسرة.

بالإضافة إلى استخدام الشاعر لأسلوب النداء الذي يقوم على أدوات خاصة به مثل أي ويا، يحمل في طياته بعدًا وغرضًا بلاغيًا وهذا حسب السياق الوارد فيه ومن أمثله في ديوان اللؤلؤة قول الشاعر:

"يا شعاع الطين... يا ملحمة الله

ويا أسطورة السرمد المظلم"[14]

فحب الشاعر لمحبوبته وتعلقه بها جعله يبالغ بوصفها وهذا ما جعل أسلوب النداء يخرج إلى غرضًا بلاغي وهو المبالغة بالشيء.

4.2.4.أدوات الرّبط:

أدوات الربط هي مختلف الحروف والعناصر التي يوظفها الشاعر والأديب في بناء نصوصهم الأدبية والشعرية بهدف الربط بين الكلمات ومختلف المكونات اللغوية المساهمة في بناء التراكيب تركيبًا صحيحًا نحويًا ومن بين تلك الأدوات حروف العطف والجر، وقد وظّف عثمان لوصيف في بناء ديوانه أدوات الربط من أجل تحقيق الانسجام والترابط بين مختلف تراكيبه خاصة حرف الواو والفاء وهذا يظهر في قوله:

"من صبّ فيه المدام

وصاغك روحًا إلاهية النبرات؟

ومن مدّ بيني وبينك خطا من النار؟

معذرةً... آه ! معذرةً إن هتكتُ الستاره

ووهبتك من أضلعي جلناره

فأنا شاعرٌ ألهمته البروق"[15]

أما حروف الجر فتتجلى في قوله:

"ها نحنُ في دمنا نتمرّغُ

نمضغُ هذا التراب

وندبّ مع النمل في وله

نتقرى الروائح كالنمل"[16]

فمن خلال هذه الأدوات حقق الشاعر عثمان لوصيف بنية لغوية عبرت عن تجربته الشعرية ومختلف الخلجات النفسية التي يحس بها وبذلك صور للمتلقي مختلف تجاربه الشعرية.

5.خاتمة:

وفي الأخير نستنتج أن اللغة الشعرية تقوم على جملة من العناصر اللغوية تساهم في بناء القصيدة وتجعلها محكمة النسيج دقيقة السبك محققة نوعًا من التوازن والانسجام حاملة لدلالة عميقة في طياتها، من خلال الاعتماد على مختلف الانزياحات التركيبية والدلالية مشكلة بذلك صورًا فنية راقية

6. الهوامش:

[1] ينظر: أميرة حلمي مطر، مقدمة في علم الجمال وفلسفة الفن، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1989، ص 07.

[2] ينظر: صفية بن زينة، مصطلح الجمالية وتداخله مع الفنية، الأدبية، الإنشائية، والشعرية، مجلة اللغة الوظيفية، جامعة الشلف، مج: 6، ع 2، 2019، ص 53.

[3] ينظر: أحمد حاجي، مفهوم اللغة الشعرية المفهوم والخصائص، مجلة مقاليد، ع 9، 2015، ص 94.

[4] ينظر: محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، د ط، دار العودة، دب، دت، ص 408.

[5] ينظر: محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004، ص 33.

[6] عثمان لوصيف، ديوان اللؤلؤة، ط1، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1997، ص 10.

[7] عثمان لوصيف، ديوان اللؤلؤة، ص 18.

[8] عثمان لوصيف، ديوان اللؤلؤة، ص 46.

[9] ينظر: صفية بن سعيدي، فارح مسرحي، فلسفة الفعل واستدعاءات الراهن العربي، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج: 6، ع 1، 2021، ص 213.

[10] عثمان لوصيف، ديوان اللؤلؤة، ص 10.

[11] المصدر نفسه، ص 42.

[12] عثمان لوصيف، ديوان اللؤلؤة، ص 47.

[13] ص 71.

[14] عثمان لوصيف، ديوان اللؤلؤة، ص 32.

[15] المصدر نفسه، ص

[16] المصدر نفسه، ص 26.

7. قائمة المراجع:

1. أحمد حاجي، مفهوم اللغة الشعرية المفهوم والخصائص، مجلة مقاليد، ع 9، 2015
2. أميرة حلمي مطر، مقدمة في علم الجمال وفلسفة الفن، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1989
3. صفية بن زينة، مصطلح الجمالية وتداخله مع الفنية، الأدبية، الإنشائية، والشعرية، مجلة اللغة الوظيفية، جامعة الشلف، مج: 6، ع 2، 2019
4. صفية بن سعيدي، فارح مسرحي، فلسفة الفعل واستدعاءات الراهن العربي، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج: 6، ع 1، 2021.
5. عثمان لوصيف، ديوان اللؤلؤة، ط1، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1997
6. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، د ط، دار العودة، دب، دت
7. محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004